التأثيرات المعمارية المتبادلة
بين مصر والعراق فى العصر الإسلامى

دكتور

عادل شريف علام

أستاذ مساعد الآثار الإسلامية

كلية الآداب - جامعة طنطا

التأثيرات المعمارية المتبادلة

بين مصر والعراق فى العصر الإسلامى

تُعد مصر والعراق من أقدم البلاد التى نشأت فيهما الحضارات البشرية ، وحدث بينهما علاقات وتبادل حضارى منذ أقدم العصور ، وتُعد الرسائل المكتشفة فى تل العمارنة خير دليل على ذلك[١] وامتد تأثيرها إلى الحضارات القديمة الأخرى .

ويتناول البحث التأثيرات المعمارية بين مصر والعراق فى العصر الإسلامى ، حيث إزداد ذلك التأثير نتيجة للوحدة السياسية والحضارية بين بلاد العالم الإسلامى لفترة طويلة بعد ظهور الإسلام والتى تمخضت عنها الوحدة التعبيرية للفنون والعمارة[٢] .

وكان لتبادل الولاة والحكام وهجرة وتنقل الصناع وأرباب الحرف من بلد لآخر الدور الكبير فى ذلك التأثير ، ولعل أكبر دليل على ذلك أن أحمد بن طولون[٣] نشأ فى مدينة سامراء فى العراق ، وعاش عصرى الخليفة المعتصم والمتوكل اللذين وجها اهتمامهما ورعايتهما للعمارة والبناء ، فمن البديهى أن ينقل بعض تلك الظواهر المعمارية إلى عمائره التى شيدها فى مصر[٤] .

---

(١) د. إبراهيم سعد : تل العمارنة ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، جامعة اسكندرية ، ١٩٨٤ .

(٢) د. أحمد قاسم الجمعة : أهم التأثيرات المعمارية والفنية المتبادلة بين العراق والمغرب العربى فى العصر الإسلامى ، مجلة آداب الرافدين ، العدد التاسع ، مايو ١٩٧٨ ، ص ١٩٠ .

(٣) أحمد بن طولون : ولد فى رمضان سنة ٢٢٠ هـ / سبتمبر ٨٣٥ م ، ودرس الفقه والدين والحديث على مذهب الإمام أبى حنيفة، وتزوج من خاتون ابنة عمه يارجوخ، حضر إلى مصر سنة ٢٥٤ هـ/ ٨٨٦ م نائباً عن واليها باكباك زوج أمه ، توفى سنة ٢٧٠ هـ / ٨٨٣ م ودفن بالقرافة الصغرى .
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، جـ ٣ ، ص ٢-٤ .

(٤) د. فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الإسلامية ، المجلد الأول ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ٤٢١-٤٢٢ .

وتمثلت تلك التأثيرات أولاً فى إنشاء وتخطيط مدينة القطائع ، التى شيدها أحمد بن طولون سنة ٢٥٦هـ / ٨٧٠ م لتكون مركزاً لحكمة ومقراً لجنده وحاشيته اللذين اقتسموها فسميت بذلك القطائع[١] .

وكان يخترقها شارع كبير يصل بين قصره وجامعه الذى بناه على جبل يشكر سمى بالشارع الأعظم تشبيهاً له بالشارع الأعظم الذى كان يخترق مدينة سامراء[٢] ويمتد عدة كيلومترات إلى قصر بلكورا[٣] وجامع أبى دلف شمال سامراء[٤] .

وقد تأثر جامع أحمد بن طولون[٥] (شكل ١) بالمسجد الجامع فى سامراء[٦] (شكل ٢)

(١) أسس أحمد بن طولون مدينة القطائع فى الطرف الشمالى الشرقى من الفسطاط ، وكانت تقع من جهة بين جبل يشكر وهو الحد الشمالى للفسطاط ، وبين سفح جبل المقطم عند مكان القلعة حالياً ، وكان يعرف فى ذلك الوقت باسم قبة الهواء .

ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، القاهرة ، بولاق ، ١٣٠٩-١٣١٠م ، جـ ٤ ، ص١٢١-١٢٢ ، المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، بولاق ، جـ ١ ، ص ٣١٥ .

(٢) مدينة سامراء : بناها المعتصم سنة ٢٢١ هـ / ٦٣٦ م ، وخطت فى المدينة قطائع لأصحاب الحرف والجنود والقواد والكتائب وسائر أفراد الشعب ، وكانت قطائع الجند بعيدة عن أحياء أصحاب المهن.

الطبرى : تاريخ الطبرى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، جـ ٩ ، ص ١٧ ؛ القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ٣٨٥ .

(٣) قصر بلكورا : بناه الخليفة المتوكل لابنه المعتز ، ويقع جنوب مدينة سامراء .

اليعقوبى : البلدان ، النجف ، ١٩٥٧ ، ص ٢٦ ؛

Herzfeld : Erster Vezlaufger Bericht Uber die Ausgrabunger Von Samarra, Berlin, 1912, pp. 32-33.

(٤) جامع أبى دلف : يقع شمال مدينة سامراء ، وأمر ببنائه الخليفة المتوكل سنة ٢٤٥ هـ / ٨٦٠ م .

كريزول : الآثار الإسلامية الأولى ، دار قتيبة ، دمشق ، ١٩٨٤ ، ص ٣٤١-٣٥٠ ؛ بشير فرنسيس ومحمد على : جامع أبو دلف ، مجلة سومر ، العدد الثالث ، ١٩٤٧ ، ص ٧٠ .

(٥) جامع أحمد بن طلون : بدأ أحمد بن طولون فى بنائه سنة ٢٦٣ هـ / ٨٧٦-٨٧٧ م وانتهى من بنائه فى رمضان سنة ٢٦٥ هـ / ابريل ٨٧٩ م .

محمود عكوش : تاريخ ووصف الجامع الطولونى ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٢٧ ؛ كريزول : المرجع السابق ، ص ٤٠٠-٤٠٣ ؛ د. فريد شافعى : المرجع السابق ، ص ٤١٦ .

(٦) المسجد الجامع بسامراء : شيده المتوكل ٢٣٤ - ٢٣٧هـ / ٨٤٨-٨٥٢م وتبلغ مساحته ٣٨ الف كيلو متر مربع وأبعاده ٢٤٠ × ١٥٦ م٢ .

للاستزاده راجع كريزول : المرجع السابق ، ص ٣٦٢-٣٦٥ ؛ =

سواء من حيث التخطيط أو المئذنة أو الزخارف[١] .

وتبرز هذه التأثيرات فى الزيادات بجامع أحمد بن طولون حيث يشتمل الجامع على ثلاث زيادات حول ثلاثة من جوانبه هى القبلية والبحرية والغربية ، وهى أروقة غير مسقوفة تبلغ مساحتها حوالى تسعة آلاف متر .

واختلفت الآراء حول وظيفة هذه الزيادات والغرض من إنشائها ، فقد ذكر ابن دقماق أنها جزء من الجامع وليست زيادة عليه وسماها رواقاً يحيط بجوانب الجامع الثلاثة ، وذكر أن سبب بنائها هو أن الجامع قد ضاق بالمصلين فقالوا لأحمد بن طولون «نريد أن تزيد لنا فيه زيادة ، فزاد هذه الزيادة الظاهرة»[٢] .

وذكر البعض أن الغرض هو الفصل بين الجامع وبين ضوضاء الحياة خارجه حتى يتوفر للمصلين فى الجامع الهدوء والسكينة ، أو تستغل كأماكن للتدريس أو لعقد جلسات المحاكم[٣] .

وهذه الزيادات التى تكتنف جدران الجامع الخارجية تمثلت قبل ذلك فى مسجد سامراء الذى للمسجد زيادتان فى خارجه تبلغ مساحتها واحد وأربعين فداناً[٤] ومسجد أبى دلف .

وتصميم المئذنة الملوية فى المسجد الجامع بسامراء ذات القاعدة المكعبة والسلم الصاعد حولها من الخارج[٥] (لوحة ١) (شكل ٣-٤) يبين مدى تأثير العمارة العراقية على مصر حيث تمثل ذلك فى مئذنة جامع أحمد بن طولون (لوحة ٢) (شكل ٥-٦) .

وذكر د. فريد شافعى أن السلم الخارجى للمئذنة جاءت فكرته من العراق[٦] ، أما

= دافيدرايس : الفن الإسلامى ، ترجمة منير صلاحى ، مطبعة جامعة دمشق ، ١٩٧٧ ، ص ٣٦؛ د. حسن الباشا ، مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية ، ١٩٩٠ ، ص ١١٧ .

(١) Zaki Hassan : Les Tulunidies, p. 16.

(٢) ابن دقماق : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ١٢٢ .

(٣) د. حسن الباشا : القاهرة تاريخها فنونها آثارها «جامع أحمد بن طولون» ، الأهرام ، ١٩٧٠ ، ص ٤٤٥-٤٤٦ .

(٤) كريزول : المرجع السابق ، ص ٣٧٤ .

(٥) د. فريد شافعى ، المرجع السابق ، ص ٤١٠ ؛ د. ثروت عكاشة : القيم الجمالية فى العمارة الإسلامية ، دار الشروق ، ١٩٩٤ ، ص ١٧٢ .

(٦) د. فريد شافعى : المرجع السابق ، ص ٤١٠ .

البدن الضخم المتعامد الأضلاع ذو صلة وثيقة بالمأذن فى المغرب الإسلامى إذ تمتاز الواحدة منها ببدن ضخم عال يرتفع إلى قرب القمة ويتوجه جوسق تعلوه قبة مثل مئذنة جامع القيروان سنة ٢٢١ هـ / ٨٣٦ م (لوحة ٣) .

كذلك يوجد فى كل من أوجه قاعدة مئذنة جامع أحمد بن طولون شباكين وهميين (أى مسدودين) لكل منهما عقد على شكل حدوة الفرس وبينهما عمود متأثر بالمغرب الإسلامى[١] ـ.

وعلى هذا فمئذنة جامع أحمد بن طولون تشابه من حيث الشكل العام مئذنة جامع سامراء المأخوذة من المعبد الآشورى المسمى بالزيقورات[٢] .

ويوجد تأثير معمارى آخر يتمثل فى مئذنة خاتفاه الأمير قوصون بصحراء السيوطى ٧٣٦ هـ / ١٣٣٦ م حيث يشتمل على سلمين فيما بين الدورة الأولى والثانية لا يرى الصاعد النازل منها[٣] (لوحة ٤) .

وتمثلت هذه الظاهرة من قبل فى العراق بمدينة الموصل فى مئذنة الجامع النورى فى العهد الاتابكى[٤] ٥٦٦-٥٦٨ هـ / ٧٠-١١٧٢ م (شكل ٧) فقد اشتملت هى الأخرى على سلمين إحدهما يبدأ من أسفل قاعدتها المنشورية والآخر من أسفل بدنها الأسطوانى ولا يلتقيان إلا فى الأعلى[٥] ، وانتقل هذا التأثير إلى المئذنة المظفرية فى أربيل بالعراق ٥٨٦-٦٣٠ هـ / ١١٩٠-١٢٣٢م[٦] .

(١) د. فريد شافعى : المرجع السابق ، ص ١١٠ .

(٢) كريزول : المرجع السابق ، ص ٤١٥ .

(٣) حسن عبد الوهاب : من روائع العمارة الإسلامية فى مصر ، المؤتمر الرابع للآثار فى البلاد العربية ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٣٠٩ .

(٤) الجامع النورى : أمر بإنشائه السلطان نور الدين بن عماد الدين سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م وانتهى من بنائه سنة ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م .

أبو شامة : كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تحقيق محمد حلمى محمد أحمد ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، جـ ١ ، ص ١٨٩ .

(٥) د. أحمد قاسم الجمعة : من نفائس الفن المعمارى فى الموصل ، مجلة الشعب ، العدد الأول ، يونيه ، ١٩٧٨ ، ص ٥٢ .

(٦) د. أحمد قاسم الجمعة : المئذنة المظفرية فى أربيل ، مجلة الشعب ، العدد الرابع ، ١٩٧٩ ، ص ١٦٨ .

وبذلك حقق المعمار بوجود السلمين تخفيف الثقل وزيادة تماسك وشدة المواد البنائية للبدن بالمحور الأوسط وعدم إندفاعها نحو الخارج[١] .

كذلك شيد جامع أحمد بن طولون من الآجر ، ويبلغ حجم الطوبة حوالى ثمانية عشر سنتميتراً طولاً وثمانية سنتيمترات عرضاً وأربعة سنتيمترات سكماً ، ويبلغ سمك المونة المستعملة حوالى سنتيمترين ونصف ، وتتألف الجدران من مداميك من الطوب المرصوص بطول الطوبة تتبادل مع مداميك من الطوب المرصوص بعرض الطوبة وهذا ما يسمى فى مصطلح أهل المعمار «اديه وشناوى»[٢] .

وقيل أن سبب بناء الجامع بالطوب الآجر أن المهندس عراقى الأصل ، وإن أحمد بن طولون لما عقد العزم على تشييد الجامع قال : أريد ان ابنى بناء ان احترقت مصر بقى وان غرقت بقى ، فقيل له «يبنى بالجير والرماد والآجر الأحمر القوى النار إلى السقف ولا يجعل فيه أساطين رخام فإنه لا صبر لها على النار فبناها هذا البناء»[٣] .

ومن الظواهر المعمارية المبتكرة فى جامع سامراء ذات التأثير فى جامع أحمد بن طولون هى البدنات وهى دعائم ضخمة من الآجر المغطى بطبقة سميكة من الجص بدلاً من الأعمدة التى كان المسلمون يأخذونها من الكنائس والمعابد القديمة .

وقد وجدت هذه البدنات (الدعامات) التى يرتكز عليها السقف فى كل من جامع سامراء الكبير ، وجامع أبى دلف على هيئة أكتاف قطاعها الأفقى أما مربع أو مستطيل وشيدت بالبناء وذلك لتحمل السقف فى ظلات المساجد أما مباشرة بغير عقود كما فى جامع سامراء[٤] (شكل ٨) وتحف بأركانها أعمدة اسطوانية رشيقة[٥] ، أو لتحمل عقوداً تتكون منها بائكات يوضع فوقها السقف كما فى جامع أبى دلف[٦] (شكل ٩) .

(١) د. أحمد قاسم الجمعة : المرجع السابق ، ص ٥٦ .

(٢) د. حسن الباشا : المرجع السابق ، ص ٤٣٩ .

(٣) ابن دقماق : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ١٢١ ، المقريزى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٦٧-٢٦٨ .

(٤) د. فريد شافعى : المرجع السابق ، ص ٤٠٣ .

(٥) ربيع القيسى : جامع الجمعة ، سامراء تخطيطه وصيانته ، مجلة سومر ، المجلد ٢٥ ، ١٩٦٩ ، ص ١٤٨ .

(٦) د. فريد شافعى ، المرجع السابق ، ص ٤٠٣ ، د. صالح لمعى : التراث المعمارى الإسلامى فى مصر ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٤ ، ص ٦٠ .

وقد امتد هذا التأثير إلى العصر الأخشيدى فى مشهد آل طباطبا ٣٣٤ هـ/ ٩٤٣ م[١] ، وفى العصر الفاطمى فى جامع الحاكم بأمر الله ٣٨٠ - ٤٠٣ هـ / ٩٩٠-١٠١٢م[٢] وفى جامع قرطبة فى عهد الخليفة المستنصر[٣] .

وظاهرة عمود الناصية الملصق التى وجدت فى نواصى دعامات جامع سامراء الكبير نراها فى الحنايا الزخرفية لواجهات جامع عمرو بن العاص الذى يرجع إلى عهد توسيعه من قبل الوالى عبد الله بن طاهر سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م[٤] .

أما ظاهرة تيجان الأعمدة الكأسية التى ظهرت واضحة فى قصر الجوسق الخاقانى الذى شيده الخليفة المعتصم فى سامراء سنة ٢٢١ هـ / ٨٣٥ م (شكل ١٠) فقد وجدت فى قواعد بعض الأعمدة بمقياس النيل بالروضة سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م[٥] ، وتمثل كذلك فى جامع أحمد بن طولون ، ثم فى كنيسة العذراء ذات الطراز الطولونى بدير السريان فى وادى النطرون سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م[٦] ـ(شكل ١١) ، كما تمثل فى أعمدة طاقات جامع القيروان بالمغرب الإسلامى .

كما تمثل التأثير المعمارى المتبادل بين مصر والعراق فى تصميم القصور والمساكن .

فبالرغم من إندثار قصر أحمد بن طولون الذى شيده تحت موقع القلعة فيما بين قلعة الجبل حالياً والمشهد النفيسى إلا أنه كان متأثراً فى تصميمه وزخرفته بالأساليب والتقاليد المعمارية التى شيد عليه الجوسق الخاقانى (قصر الخليفة المعتصم) وقصر بلكورا فى شمال

(١) د. أحمد قاسم الجمعة : المرجع السابق ، ص ٢١٢ .

(٢) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ، دار الكتب المصرية ، ١٩٤٦ ، جـ ١ ، ص ٣٥ .

(٣) مانويل جوميث : الفن الإسلامى فى أسبانيا ، ترجمة لطفى عبد البديع وعبد العزيز سالم ، ١٩٦٨، ص ١٠٩ .

(٤) د. فريد شافعى : المرجع السابق ، ص ٤١٧ .

(٥) د. سامى نوار : المنشآت المائية بمصر منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية العصر المملوكى ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب بسوهاج ، جامعة أسيوط ، ١٩٨٤ ، ص ٢١٨ .

(٦) Creswell : The Muslim Architecture of Egypt, Oxford, 1959, Vol. II, Fig : 237,

د. فريد شافعى : المرجع السابق ، ص ٤١١ .

سامراء[١] (شكل ١٢-١٣) ، وما كان فيهما من قاعات وأفنية وبساتين ، وكان له تسعة أبواب لكل منها اسم خاص[٢] .

وفى العصر الفاطمى كان فى قصر الخليفة العزيز بالله الفاطمى نفق يصل بين غرف الخليفة وجناح الحريم على غرار النفق الذى سبق وجوده بقصر الخليفة المعتصم بسامراء[٣] .

وأقدم الدور السكنية المكتشفة فى حفريات الفسطاط هى من العصر الطولونى ، والتى وصل إرتفاع بعضها إلى خمسة طوابق ، والتى توضح تأثير العمارة العراقية أبان العصر العباسى على العمارة الطولونية (شكل ١٤) .

ويتكون البيت من صحن يحطيه أربعة أيوانات إحداها وهو الرئيسى على شكل حرف T ، وتلك الأيوانات نراها فى قصر الأخيضر ١٥٧-١٥٨ هـ / ٧٧٤-٧٧٥ م بالعراق[٤] (شكل ١٥) .

وأقدم جناح لدار اكتشف يرجع إلى سنة ٢٥٨ هـ / ٩٠٠ م حيث يتكون من ايوان أوسط وحجرتين على جانبيه وتتقدم الوحدات الثلاث سقيفة مستعرضة تفتح على فناء مكشوف من خلال ثلاث فتحات[٥] .

ووجد هذا التصميم فى العراق فى منزلين من الأربعة التى يضمها قصر الأخيضر فى بادية العراق[٦] ، وكذلك فى منازل مدينة سامراء[٧] .

ويتضح من أحد الدور المكتشفة من قبل د. عباس حلمى أنها تحتوى على ايوانين فقط فى الجهتين الشمالية والجنوبية ، وهو التقليد الذى ساد جميع الدور المتكاملة المساقط المكتشفة فى الفسطاط[٨] .

(١) د. فريد شافعى ، المرجع السابق ، ص ٤٢٥ .

(٢) المقريزى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣١٥ .

(٣) د. صالح لمعى : المرجع السابق ، ص ٦٦ .

(٤) كريزول ، المرجع السابق ، ص ٢٥٧ .

(٥) د. زكى حسن : الفن الإسلامى فى مصر ، ص ٦١-٦٣ ، لوحات ١٣-١٦ .

(٦) فريال مصطفى : البيت العربى فى العراق فى العصر الإسلامى ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٢ . ، ص ٦٨ .

(٧) المرجع نفسه ، ص ٨١ .

(٨) د. عباس حلمى : المسكن المصرى الإسلامى منذ الفتح العربى حتى الفتح العثمانى ، رسالة دكتوراه، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ٦١-٦٥ .

وترجع أهمية هذه الدار أنها تشتمل على المدخل المنكسر لكونه أقدم مثل ثابت للتاريخ من نوعه ليس بمصر فقط وإنما فى العالم الإسلامى ، وانتشرت المداخل المنكسرة فى دور الفسطاط ، وفى العصر الفاطمى فى القصر الغربى الذى بناه العزيز بالله[١] ، كما وجدت المداخل المنكسرة فى مدينة بغداد[٢] (شكل ١٦) .

وظهرت المداخل المنكسرة بعد ذلك بالشام فى العصر الاتابكى ابان الحروب الصليبية واستعملها صلاح الدين فى أحد أبواب حصن القاهرة أيام كان وزيراً للخليفة العاضد الفاطمى ٥٦٤-٥٦٧هـ / ٦٩-١١٧٢م ، ثم استخدمها صلاح الدين عندما تولى حكم مصر فى مداخل أسوار العاصمة ومداخل قلعة الجبل التى شيدها سنة ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م[٣] ، ثم ظهرت فى بعض مبانى المغرب الإسلامى كمدخل الرواح فى الرباط[٤] وامتد تأثيرها إلى الحصون والقلاع الأوربية[٥] .

ويؤدى المدخل المنكسر غرضين أولهما مراعاة للتقاليد الشرقية فلم يسمح للوافد إلى الدار من أن يرى من بفناء الدار من الحريم ، وثانيهما يرجع إلى الاستحكامات الحربية فى أن دور المسلمين أشبه بالحصون والقلاع ، فالمدخل المنكسر يحد من قوة إندفاع أى عدو مهاجم[٦] .

وهناك نوع آخر من المداخل يمثل التأثير المتبادل بين مصر والعراق وهو المدخل البارز عن مستوى الجدران ، وظهرت أمثلتها الأولى فى العراق فى خان عطشان ١٦١هـ/ ٧٧٧م[٧] وتمثلت هذه الظاهرة فى المدخل الرئيسى لجامع الحاكم بأمر الله ٣٨٠-٤٠٣هـ/ ٩٩٥-١٠١٢م فى العصر الفاطمى[٨] وإن كان هذا التأثير انتقل إلى مصر

(١) د. فريد شافعى : المرجع السابق ، ص ٤٣٥ .

(٢) د. أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها ، المدخل ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ٣٤ ، ح ٢ ؛ طاهر مظفر العميد : بغداد مدينة المنصور المدورة ، النجف ، ١٩٦٧ ، ص ٢٢٠-٢٢١ .

(٣) د. فريد شافعى : المرجع السابق ، ص ٢٧٣-٢٧٤ .

(٤) صبحى أعش : نماذج من الفن المعمارى الموحدة بالمغرب ، الرباط ، ١٩٧٧ ، ص ٥٠ .

(٥) د. فريد شافعى ، المرجع السابق ، ص ٢٧٢ .

(٦) د. أحمد فكرى ، المرجع السابق ، ص ٣٤ ، ح/٢؛ د. فريد شافعى ، المرجع السابق، ص ٤٣٥ .

(٧) كريزول : المرجع السابق ، ص ٢٦٧ ؛ د. أحمد فكرى : المرجع السابق ، ص ٨٢ .

(٨) Creswell : Op. Cit., Vol I. pp. 28-30.

من شمال أفريقيا لأنه كان خاضعاً للفاطميين[١] فظهر فى مدخل جامع المهدية بتونس ستة ٣٠٣-٣٠٨هـ/ ٩١٥-٩٢٠م[٢] .

وإذا تناولنا التصميم والظواهر المعمارية في بيوت الفسطاط السابق ذكرها لوجدنا أن ترتيب الاواوين التى تحف بالفناء وتقع على جوانبها الأيمن والأيسر الأجنحة المتناظرة يمثل الطراز الحيرى[٣] نظراً لتطوره وانتشاره فى قصور الحيرة بالعراق[٤] (شكل ١٧) .

وقد امتدت إلى المبانى الإسلامية فى العصر الأموى فى بعض مساكن الكوفة وواسط واسكاف بنى جنيد الشعبية[٥] .

وقد ظهر هذا الطراز فى العراق منذ عصر آيسن لارسا البابلى القديم (٢١٧٠-١٦٥٠ ق.م.) وهو معبد اشجالى[٦] (شكل ١٨) ، كما ظهر ما يماثل ذلك فى اللاهون فى عصر

(١) د. أهم قاسم الجمعة : المرجع السابق . ، ص ١٩٣ .

(٢) د. أحمد فكرى ك المرجع السابق ، ص ٨٢ .

(٣) يقول المسعودى «واحدث المتوكل فى أيامه بناء لم يكن الناس يعرفونه وهو المعروف بالحيرى والكمين والأروقة وذلك أن بعض سماره حدثه فى بعض الليالى أن بعض ملوك الحيرة من النعمانية من بنى نصر أحدث بنياناً فى دار قراره وهى الحيرة على صورة الحرب وهيئته للهجته بها وميله نحوها لئلا يغيب عن ذكرها فى سائر أحواله فكان الرواق فيه مجلس الملك وهو الصدر والكمان ميمنه وميسره ويكون في البيتين اللذين هما الكمان ما يقرب منه من خواصه وفى اليمين منهما خزانة الكسوة وفى الشمال ما احتيج إليه من الشراب والرواق ، فدعم فضاءه الصدر والكمين والأبواب الثلاثة على الرواق فسمى هذا البنيان إلى هذا الوقت بالحيرى والكمين إضافة إلى الحيرة واتبع الناس المتوكل فى ذلك ائتماناً بفعله واشتهر إلى هذه الغاية .

المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، جـ ٤ ، ص ٣٨ .

(٤) د. عفيفى بهنسى : تكوين الفن العربى الإسلامى فى ديار الشام ، الحوليات السورية ، المجلد الثانى ، ١٩٧٢ ، ص ١٩ .

(٥) عن هذه الدور راجع :

فريال مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢١ ، ص ٤١ .

اسكاف بنى جنيد : سميت بهذا الاسم نسبة لرؤوساء هذه الناحية ، وقد اشتهروا بالكرم والنباهة فعرفت المنطقة باسمهم ويقع بين بغداد وواسط ، واسكاف العليا هى إحدى نواحى النهروان واسكاف السفلى واقعة على النهروان .

ياقوت الحموى : معجم البلدان ، طبعة طهران ، ١٩٦٥ ، جـ ١ ، ص ٢٥٢ .

(٦) فريال مصطفى : المرجع السابق ، ص ١٦٠ ، شكل ٦ .

الدولة الوسطى بمصر القديمة فقد كانت بيوتها القديمة تتألف من قسم أوسط وجناحين[١] .

أما تصميم المنازل الذى يتخذ شكل حرف T الذى يمثل الممرات الرئيسية لمرافقها يتمثل فى مخطط معبد انانا فى الوركاء الطبقة الرابعة (٢٨٠٠-٢٥٠٠ ق.م.) والذى اصطلح على تسميته بالطراز الحيرى الناقص[٢] (شكل ١٩) .

ولقد كان للمناخ الأثر الرئيسى فى اعتماد ذلك التصميم ، فالفناء يساعد على تخفيف حدة الضوء والحرارة صيفاً ، ويساعد على الدفء شتاءً عند غلق الفتحات ، كما يرشح الهواء من الغبار ويخفف ضوضاء الطرقات ويحجب سكان الدار عن أنظار المارة بها[٣] .

ويُعد الايوان بمثابة فناء مسقف يستخدم فى كثير من المناسبات العائلية ، وسطحه المقبب يساعد على تلطيف الحرارة والتهوية صيفاً[٤] ، كما تكون السطوح المقببة أكثر تماسكاً من السطوح المستوية وتساعد على تخفيف القوى الضاغطة على الجدران والأسس[٥] .

وابتكر التقويس فى البناء منذ العصر السومرى من العراق وتمثل ذلك فى العقد الكامل فى مدينة أريدو[٦] ثم انتقل إلى العمارة الفارسية[٧] ويغلب على الظن أنه انتقل إلى الطراز الرومانى[٨] .

أما السقيفة المستعرضة التى تتقدم الاواوين وملحقاتها فى أجنحة المساكن فكان بمثابة الأروقة التى تقى الأبنية التى تتقدمها من الحر الشديد صيفاً والبرد والأمطار شتاءً ، بينما

(١) د. محمد أنور شكرى ، العمارة فى مصر القديمة ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ١٠٥ .

(٢) فريال مصطفى : المرجع السابق ، ص ١٦٠ ، شكل ٥ .

(٣) د. فريد شافعى : المرجع السابق ، ص ٢٨٦ .

(٤) محمد بدر الدين الخولى : المؤثرات المناخية والعمارة العربية ، جامعة بيروت العربية ، ١٩٧٥ ، ص ٣٤ .

(٥) د. أحمد قاسم الجمعة : العناصر المعمارية والفنية المميزة لقبة الصخرة والمسجد الأقصى ، مجلة آداب الرافدين ، العدد الخامس عشر ، مايو ، ١٩٨٢ ، ص ٢٣٧ .

(٦) طه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٢٧٥ .

(٧) د. مصطفى جواد : الديوان والكنيسة فى العمارة الإسلامية ، مجلة سومر ، المجلد ٢٥ ، ١٩٦٩ ، ص ١٦٤ .

(٨) د. فريد شافعى : المرجع السابق ، ص ١٦٦ .

اقتصرت الأجنحة على الجهتين الشمالية والجنوبية لمعالجة مشاكل المناخ أيضاً ، فالأجنحة الشمالية تكون شتوية لأنها تتعرض لأشعة الشمس فى حين توافق الأجنحة الجنوبية صيفية لأنها تتفادى شمس العصر ذات الضغط الحرارى العالى[١] .

ومن التأثيرات المعمارية بين مصر والعراق العقود ، فمنها العقد المدبب وهو عقد يكون فيه التنفيخ[٢] والتجريد[٣] على هيئة أقواس من دوائر تقع مراكزها فى داخل أو خارج فتحة العقد[٤] .

وقد اختلف العلماء بشأن ابتكار هذا النوع من العقود ، فمنهم من نسب ذلك إلى العصر البيزنطى ومن أمثلته الباقية قصر ابن وردان بالشام ويؤرخ فيما بين ٥٦١-٥٦٤م[٥] ، ومنهم من نسب ذلك إلى العصر الساسانى ومن أمثلته الباقية طاق كسرى بالعراق ويؤرخ أما فى عصر الملك شابور الأول ٢٤٢-٢٧٢م ، أو فى عصر الملك خسرو الأول ٥٣١-٥٧٩م[٦] .

وقد انتشر هذا النوع من العقود انتشاراً كبيراً فى العمارة الإسلامية وأصبح من مميزاتها البارزة ، وقام المعمار المسلم بتطويره وابتكار أشكال عديدة منه .

ووجدت نماذجه الأولى فى المسجد الأموى بدمشق ٩٦هـ/ ٧١٤م[٧] ، واستخدم فى قصر الأخيضر[٨] وقصر الجوسق الخاقانى[٩] ثم طالعنا بعد ذلك فى جامع القيروان فى الأجزاء التى ترجع إلى عهد زيادة الله الأغلبى وتؤرخ سنة ٢٢١ هـ / ٨٣٦ م[١٠] ، ثم

(١) فريال مصطفى : المرجع السابق ، ص ١١٧-١١٨ .
(٢) التنفيخ : يقصد به بطينة بطنية المنحنى السفلى له .
(٣) التجريد : يقصد به المنحنى العلوى أو الخارجى للعقد ويعرف أيضاً بالتتويج .
(٤) محمد حماد : الإنشاء والعمارة : المجلد الأول ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ١٣١ .
(٥) كريزول : المرجع السابق ، ص ١٤٣ - ١٤٤ .
(٦) د. فريد شافعى : المرجع السابق ، ص ١٧٣ - ١٧٤ ، ٢٠٧ .
(٧) المرجع نفسه ، ص ١٦٦ .
(٨) كريزول : المرجع السابق ، ص ٢٦٢ .
(٩) المرجع نفس ، ص ٣٤٤ .
(١٠) د. أحمد فكرى : المسجد الجامع بالقيروان ، القاهرة ، ١٩٩١ ، ص ٧٨-٧٩ .

ظهر بعد ذلك فى مصر فى عقود مقياس النيل بالروضة ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م[١] ثم فى جامع أحمد بن طولون[٢] .

أما العقد المذبب ذو المراكز الأربعة فيعد من الابتكارات الإسلامية المهمة حيث تمثلت أمثلته الأولى فى باب بغداد فى الرقة حوالى سنة ١٥٥ هـ / ٧٧١م ، ثم فى باب العامة فى قصر الجوسق الخاقانى وجامع أبى دلف ثم انتقل إلى عمائر المغرب الإسلامى ، ولم يظهر فى مصر إلا فى العصر الفاطمى مما يوحى بأنه لم ينقل من العراق بصورة مباشرة بل جاء عن طريق المغرب الإسلامى[٣] .

والعقود المفصصة التى تعتمد على التدوير والإنكسار تُعد هى الأخرى من العقود المبتكرة من قبل المسلمين ووجدت أمثلتها الأولى فى مئذنة جامع الحاكم بأمر الله بالقاهرة وأحد محاريب الجامع الطولونى من نهاية العصر الفاطمى[٤] .

ومنذ القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى انتشر هذا العقد فى مشرق العالم الإسلامى ومغربه[٥] .

ففى العراق فى عقود ضريح محمد الدورى (القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى)[٦] ، وعقد محراب عمارة الأربعين فى تكريت (نهاية القرن الخامس الهجرى /

(١) د. فريد شافعى : المرجع السابق ، ص ٢٠٧ ؛
Briggs : Muhammadan Architecture in Egypt and Palestine, Oxford, 1921, p. 57.

(٢) كريزول : المرجع السابق ، ص ٣٨٥-٣٨٦ ، د. فريد شافعى : المرجع السابق ، ص ٣٨٢-٣٩٣ ؛
Devonshire : L'Egypte Musulmane et Les Fondateures des es Monumens, Paris, 1926, pp. - 26-27.

(٣) د. فريد شافعى : المرجع السابق ، ص ٤١٣-٤١٥ .

(٤) Shafiei : An Early Fatimid Mihrab in the Mosque of Ibin- Tulun, Bulletin of the Faculty of Arts, Vol, XV Part I, May, 1953, pp. 75-81, Fig. 16.

(٥) د. أحمد قاسم الجمعة : محاريب مساجد الموصل إلى نهاية حكم الاتابكة ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ٢٢٣ .

(٦) Shafiei : Op. Cit., p. 73, Fig. 8-9.

الحادى عشر الميلادى)[1] ، وقلعة بنى حماد فى الجزائر (القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى)[2] ، والبيمارستان النورى فى سوريا ٥٤٩ هـ/ ١١٥٤م[3] .

ومن هذا يتبين أننا تناولنا أبرز التأثيرات المعمارية بين مصر والعراق في العصر الإسلامى مع التنويه بأننا لم نتطرق إلى التأثيرات الأخرى التى شملت الفنون التشكيلية والتطبيقية المستخدمة فى العمائر ومنها أعمال الجص والتكسية الرخامية والخط العربى وخلافه .

(١) د. عبد العزيز حميد : عمارة الأربعين فى تكريت ، مجلة سومر ، العدد ٢١ ، ١٩٦٧ ، ص ١٣٩-١٤٠ .

(٢) Marcais : Mannel D'Art Maslman Architecture, p. 155, Fig. 80.

(٣) ولتسينجر : الآثار الإسلامية فى دمشق ، تعريب قاسم طوير ، دمشق ، ١٩٨٤ ، ص ١٢٦ .

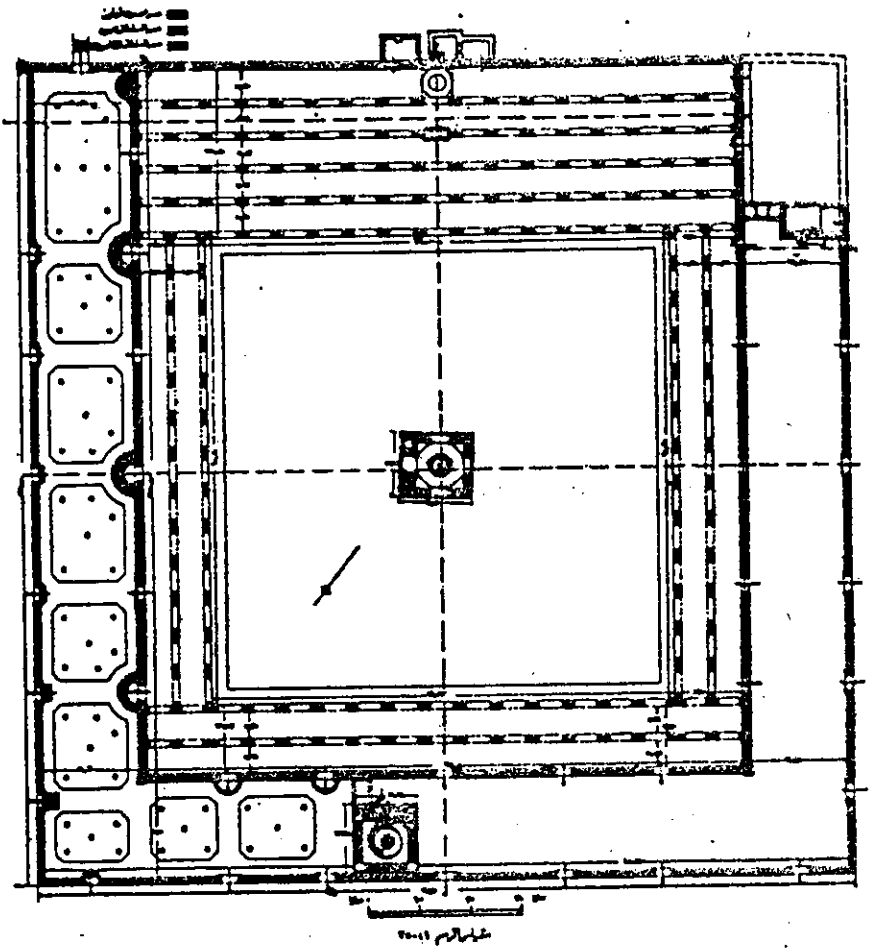

شكل (١)

المسقط الأفقى لجامع أحمد بن طولون

«عن المجلس الأعلى للآثار» .

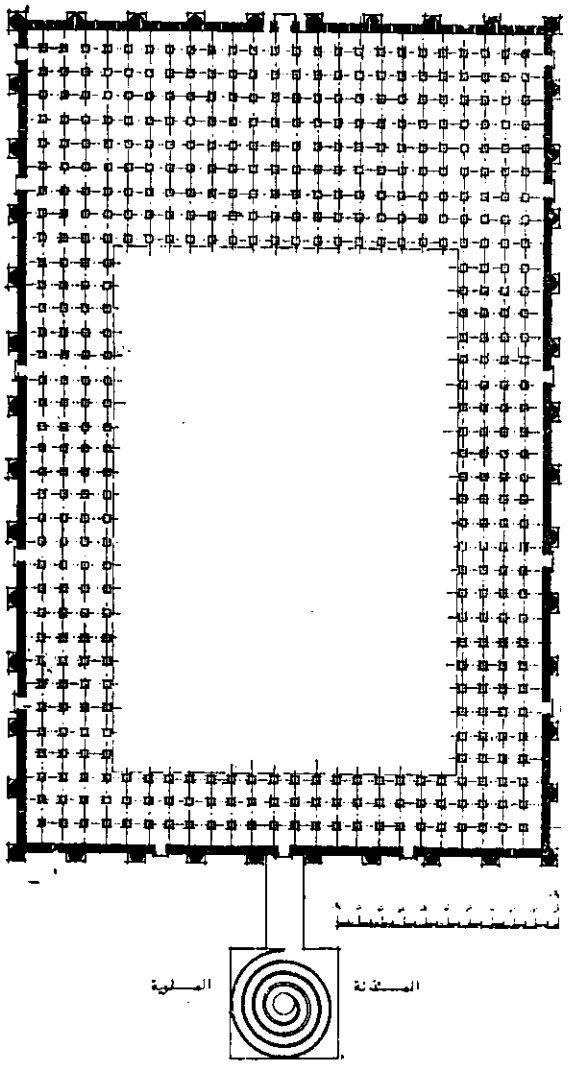

شكل (٢)

المسقط الأفقى لجامع سامرا

«عن كريزويل» .

شكل (٣)
تخطيط طولى لملوية سامراء
(عن صالح الألفى)

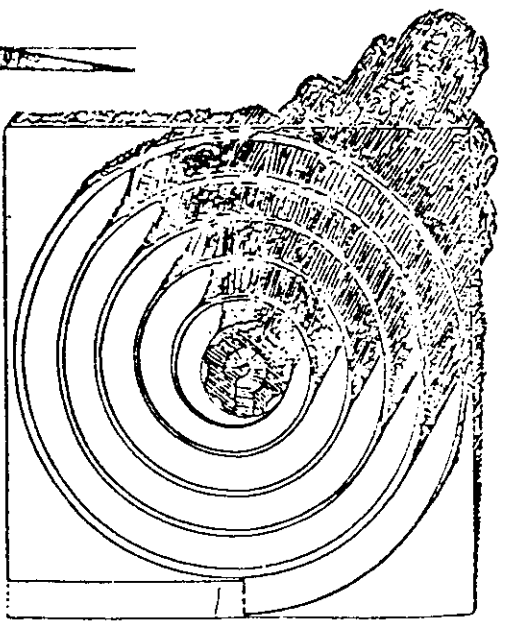

شكل (٤)
المسقط الأفقى لملوية سامراء
(عن هرتزفيلد)

شكل (٥)
رسم تخطيط طولى لمئذنة جامع أحمد بن طولون
(عن دافن)

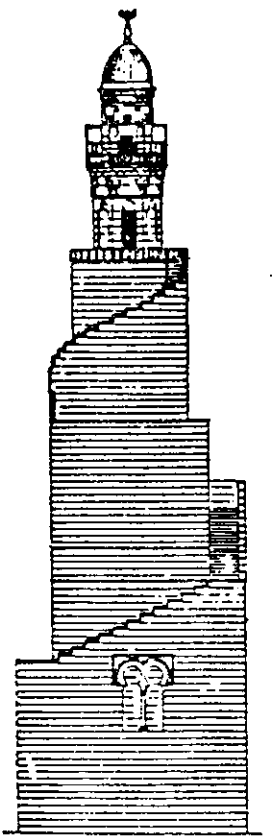

شكل (٦)
المسقط الأفقى لمئذنة جامع أحمد بن طولون
(عن ديو لافوا)

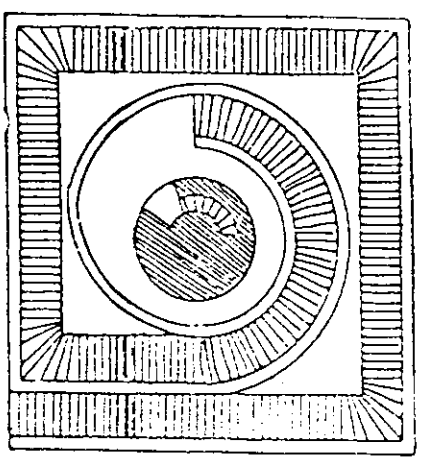

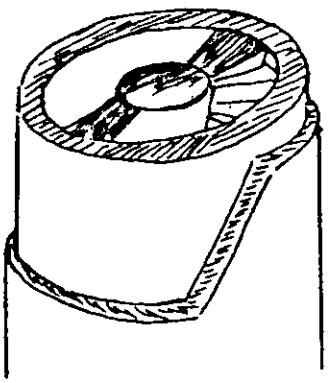

شكل (٧)
مقطع لمئذنة لجامع النورى بالموصل
(عن باكليرو)

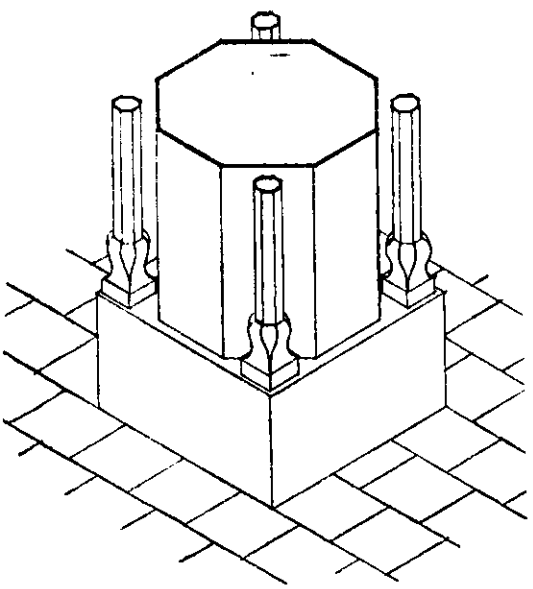

شكل (٨)
رسم بدنة فى الجامع الكبير بسامراء
(عن د. فريد شافعى)

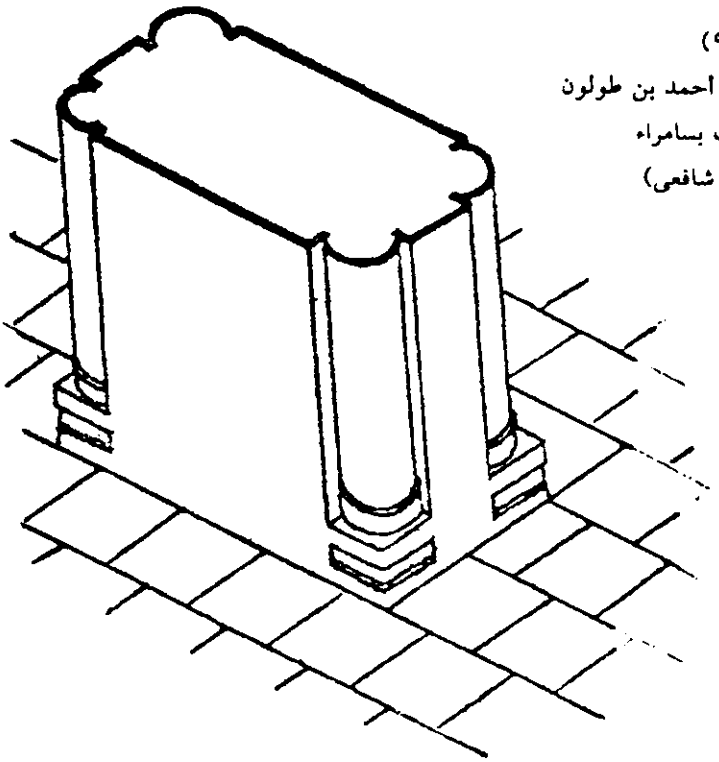

شكل (٩)
رسم يبين بدنه فى جامع أحمد بن طولون
وجامع أبى دلف بسامراء
(عن د. فريد شافعى)

شكل (١٠)
رسم يبين تاج عمود بقصر الجوسق
الحاقانى بسامراء
(عن كريزويل)

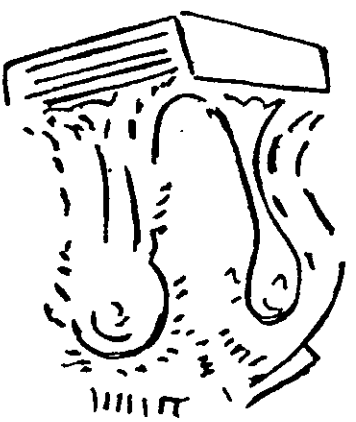

شكل (١١)
رسم يبين تاج ناقوسى من دير السريان
(عن د. فريد شافعى)

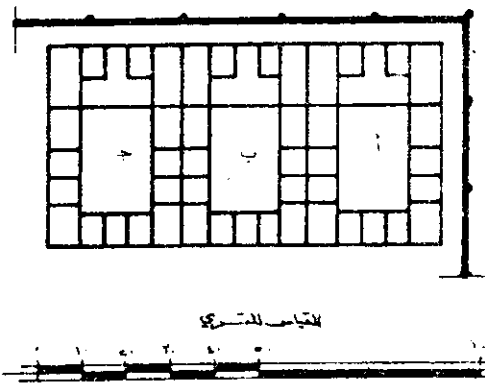

شكل (١٢)
رسم يبين الوحدات السكنية فى مصر بركوارا
(عن فريال مصطفى)

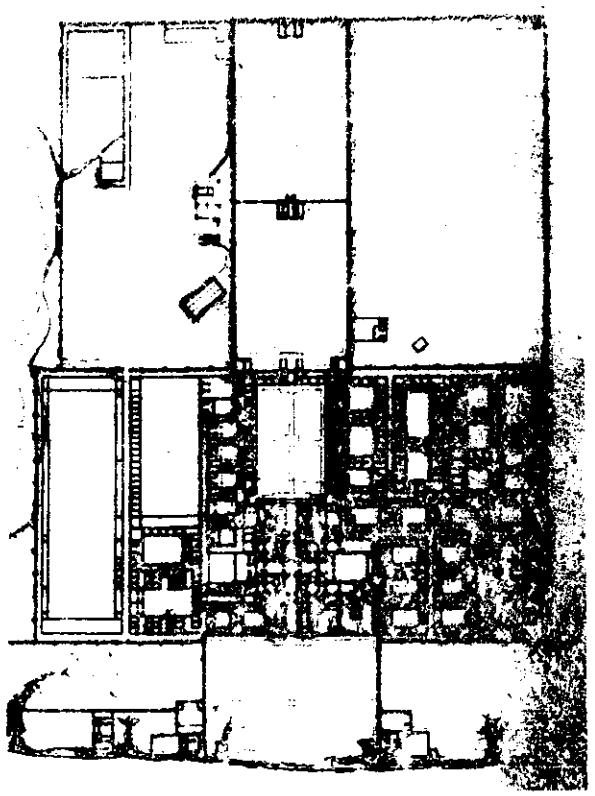

شكل (١٣)
رسم يبين المسقط الأفقى لقصر بركوارا
(عن فريال مصطفى)

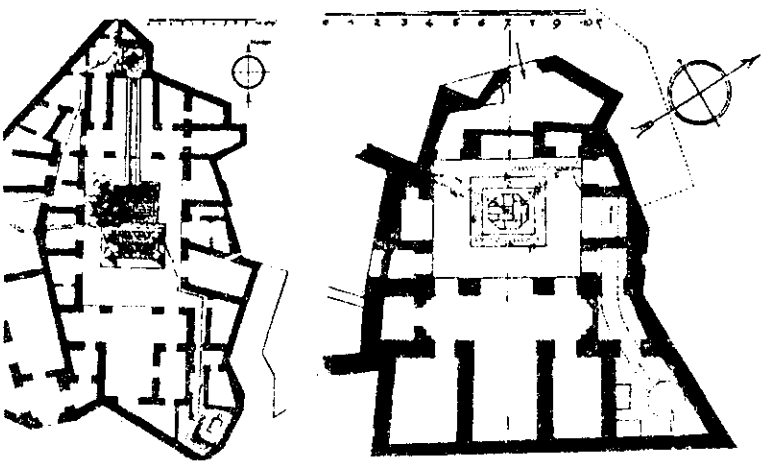

شكل (١٤)

مسقط أفقى لمنازل الفسطاط (HOAG)

النصف الثانى من القرن الحادى عشر الميلادى

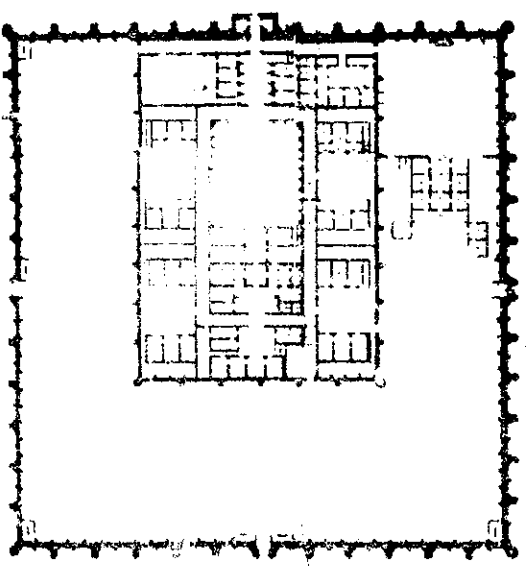

شكل (١٥)

مسقط افقى لقصر الأخيضر (عن كريزويل)

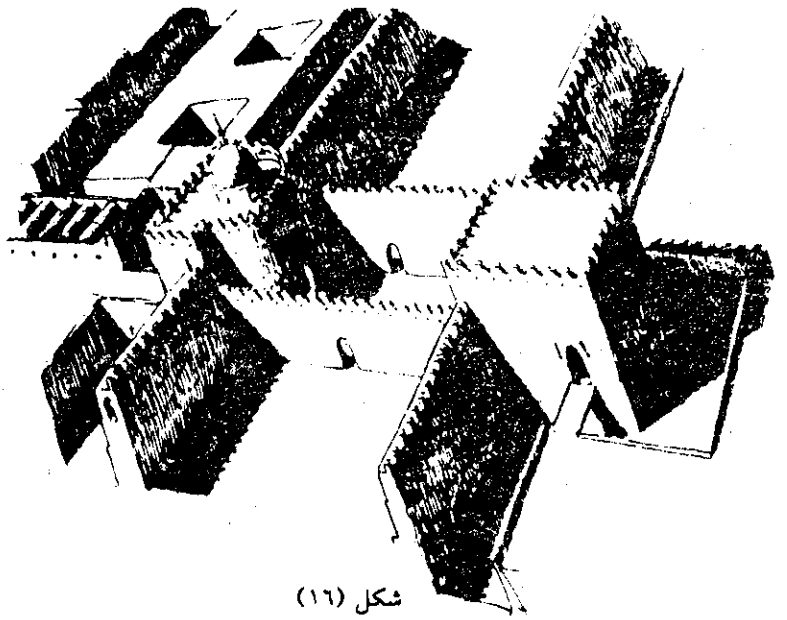

شكل (١٦)

رسم يبين بغداد (اسوار مدينة المنصور المدوره) والمدخل المنكسر

(عن فريد شافعى)

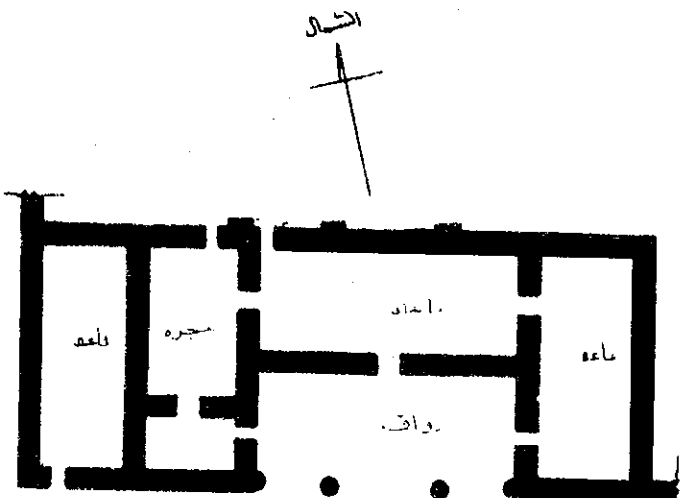

شكل (١٧)

مسقط أفقى يبين طراز حيرى محور

(عن فريال مصطفى)

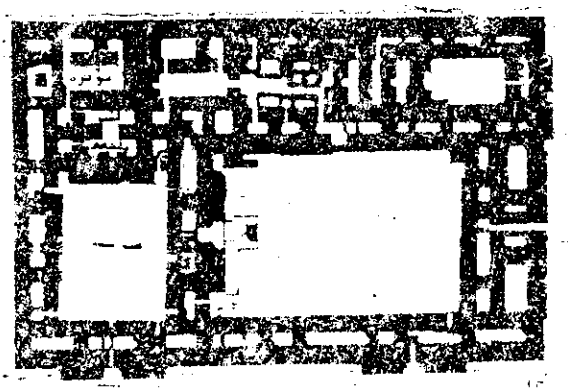

شكل (١٨)

مسقط أفقى لمعبدا شجالى - عصر ايسن لارسا البابلى القديم

٢١٧٠ - ١٦٥٠ ق.م - طراز حيرى يطل على ساحة مكشوفة

(عن فريال مصطفى)

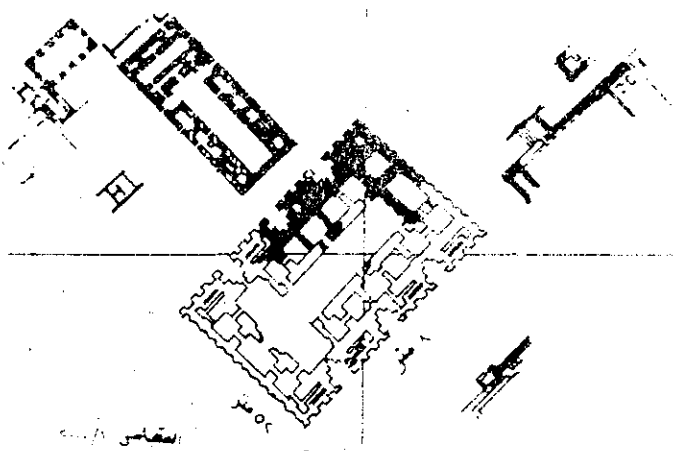

شكل (١٩)

مسقط أفقى لمعبد أنانا فى الوركاء الطبقة الرابعة ٢٨٠٠ - ٢٥٠٠ ق.م

الطراز الحيرى الناقص

(عن فريال مصطفى)

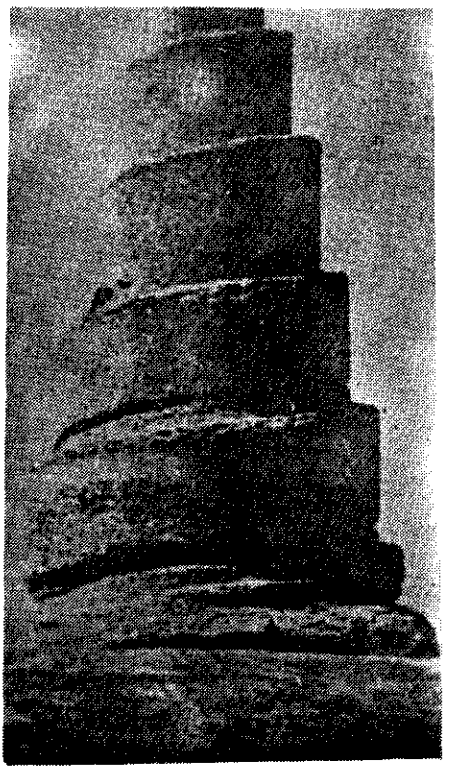

لوحة (١)
مئذنة ملوية الجامعة الكبير
بسامرا

لوحة (٢)
مئذنة جامع أحمد بن طولون

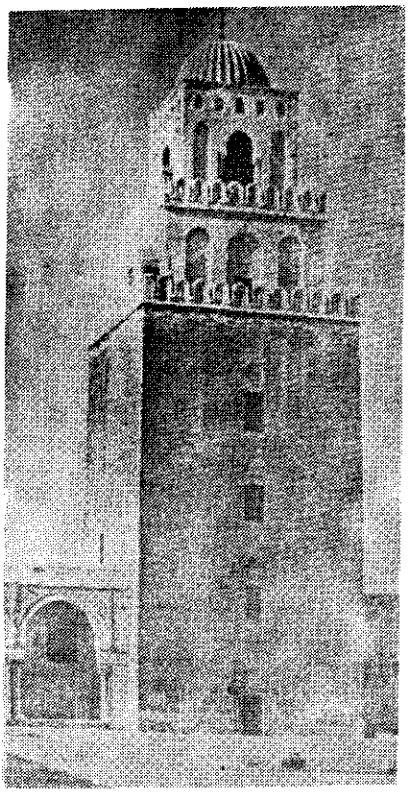

لوحة (٣)
مئذنة جامع القيروان
(عن كريزويل)

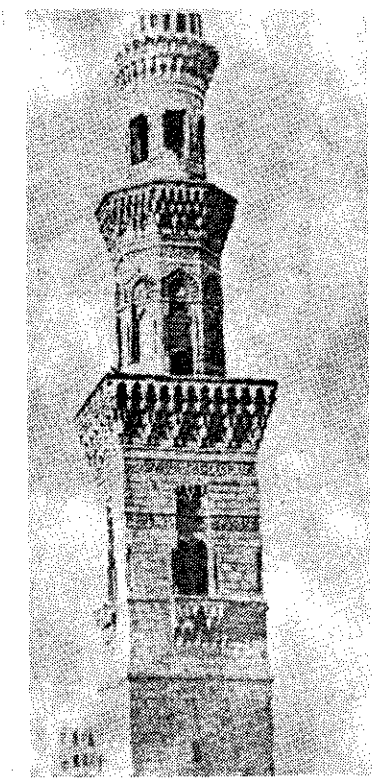

لوحة (٤)
مئذنة خانقاه قوصون